ASJP
Algerian Scientific Journal Platform
مجلة التواصلية
ISSN 2437-0894- EISSN 6202-X537
HTTPS://WWW.ASJP.CERIST.DZ/EN/PRESENTATIONREVUE/294

المجلد: 10 العدد: 02 (2024) ص 101 / ص 124

البنية الزمنية في قصص سورة مريم (عليها السلام)

Morphology of time in the stories of Surah Maryam (peace be upon her)

معصومة مرعي*
طالبة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها
جامعة شيراز – إيران
mariemassoumeh@gmail.com

د. موسى عربي
الأستاذ المشارك في قسم اللغة العربية وآدابها
جامعة شيراز – إيران
moosaarabi@yahoo.com

معلومات المقال

تاريخ الارسال:
2024/05/04
تاريخ القبول:
2024/05/27

الكلمات المفتاحية:
- ✓ قصص سورة مريم
- ✓ المفارقة السردية
- ✓ الحركة السردية
- ✓ التواتر السردي

الملخص:

يعد الزمن من أهم عناصر البناء القصصي الأخرى حيث إذا افترضنا القصّة عقداً فيكون الزمن الخيط الذي ينظم فيه لآلئه. وبما أنّ القصة القرآنية تتزيّن بالعناصر الفنية بشكل معجز اخترنا في هذا البحث سورة مريم لندرس في قصصها عنصر الزمان وفقاً لأبرز تقنياته أي المفارقة السردية والحركة السردية والتواتر السردي. وكان الغرض من هذه الدراسة الإشارة إلى نماذج تقنيات الزمن وتبيين دورها في تماسك وانسجام البناء السردي القرآني وكذلك تبيين مساهمتها في بلوغ الغاية التربوية والدينية التي تتمحوّر عليها هذه القصص بتتبّع خطوات المنهج الوصفي- التحليلي. ووصل البحث إلى أن التقنيات الزمنية كالاسترجاع والاستباق والإبطاء والتسريع والتواتر في القصص الواردة في سورة مريم قد أسهمت بشكل كبير في تماسك عناصرها القصصية وتناسقت مع سياق السورة وموضوعها الذي هو عبارة عن رحمة الله بعباده وإجلاء قدرته اللامتناهية في صنع كل شيء. وكان الغرض من توظيف هذه التقنيات الاعتبار والانذار والبشارة لعباده ورحمته بهم.

Article info

Received
04/05/2024
Accepted
27/05/2024

Keywords:
- ✓ ***narrations of Surah Maryam***
- ✓ ***narrative paradox***
- ✓ ***narrative movement***
- ✓ ***narrative frequency***

Abstract :

Time is an important element in narrative structure. Quranic stories are miraculously embellished with figures of speech, including Surah Maryam which we examined based on temporal techniques, namely narrative paradox, narrative movement and narrative frequency. The purpose of this study was presenting examples of time techniques, their effects on the coherence of the Quranic narrative structure, as well as their contribution in educational and religious purpose. And based on descriptive-analytical approach, we concluded that temporal techniques used in the stories mentioned in Surah Maryam such as analepsis, prolepsis, negative acceleration, positive acceleration, frequency, play significant roles in the coherence of its narrative and are consistent with its structure and theme. These techniques are intended to instruct, warn and give Glad Tidings to Gods' servants as well as to show His mercy to them.

* معصومة مرعي

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

مقدمة

إنّ القصة القرآنية في الوهلة الأولى هي تجسيد لطلاقة قدرة الله على الزمان والمكان والوجود وتجلّ لعدله كما أنّها تجسيد للسنن الإلهيّة الثابتة. وقد جاءت هذه القصص في القرآن الكريم بغرض ديني وتربوي ولا سيّما السور المكّية التي انغمرت بالقصص والإخبار عن الأمم الغابرة بآليات لسانيّة واضحة ومباشرة لتكن عبرة وعظة للآخرين. ومن بين هذه السور سورة مريم (عليها السلام) التي اكتنفت قصصاً محفوفةً بالدروس التربوية والدينية وكان الخيط الجامع لها هو عنصر الزمان.

وبما أنّ عنصر الزمان من بين عناصر البناء القصصي الأخرى له أكثر فاعلية في العملية السردية بحيث يجمع بين العناصر السردية الموجودة في الخطاب ويقوم بانسجامها واتحادها قد اتجهنا في هذا البحث إلى دراسة أبرز تقنياته في هذه القصص وهي تقنيات المفارقة السردية وتقنيات الحركة السردية وتقنية التواتر السردي.

فيشبه عمل هذه التقنيات الزمنية عمل الجسر بحيث تقوم بنقل المتلقي من حدث قد وقع في الماضي إلى حدث سيقع في المستقبل وبالعكس؛ وقد مثل هذا النقل بين الزمنين الماضي والمستقبل آلية من آليات انسجام النص القرآني وأسلوباً من أساليب الدعوة.

واعتمدت الدراسة المنهج الوصفي-التحليلي لأنه يعتمد في دراسة الظواهر العلمية والأدبية والدينية وغيرها على تجميع عدد كبير من البيانات والمعلومات ليصل إلى إيجاد تفسيرات منطقية لها مثبتة بالقرائن والأدلة.

أهمية البحث

تتجلى أهمية البحث هذا من خلال إثبات مساهمة البنية الزمنية في الإعجاز القرآني ودورها في تماسك بناء القصص القرآني كما تتمثل في تبيين دور القصة في الدعوة لعبادة الله.

سؤال البحث

تبحث هذه الدراسة عن إجابة وافية للسؤال التالي:

كيف أسهمت التقنيات الزمنية في تماسك البناء القصصي في سورة مريم؟

أهداف البحث

سعت هذه الدراسة إلى تحقيق الأهداف التالية:

- تبيين تقنيات عنصر الزمان ودورها الفعال في الانسجام والتماسك السردي في قصص سورة مريم.
- تبيين كيفية مساهمتها في تحقيق الغاية التربوية والدينية المتمثلة في هذه القصص.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

خلفية البحث

هناك دراسات كثيرة قامت بمعالجة الأبعاد الأدبية والبلاغية في سورة مريم منها:

- **قصة مريم (عليها السلام) دراسة فنيّة بلاغية** للدكتورة بلقيس بنت محمد الطيب إدريس. هدفت الباحثة في هذه الدراسة إلى إزالة الوهم الشائع في الدراسات الحديثة التي أذعنت أنّ العرب لم يعرفوا القصّة بمفهومها الفنّي الحديث إلا بعد اتصالهم بالغرب ووصلت إلى أنّ القرآن الكريم يفنّد هذا الإدعاء بما احتواه من قصص لا تخلو من سمة الفن والإبداع. وقد أشارت بشكل موجز إلى الزمن الخارجي والزمن الداخلي في دراستها.

تبدو هذه الدراسة نموذجاً بارزاً للاختلاف القائم بين علماء السرد حول نشأة القصة العربية. ويمكن عدّها دليلاً من الأدلة المنطقية لإثبات رأي الفريق المدافع عن أصالة الفن القصصي في الأدب العربي.

- **المعمار القصصي في سورة مريم {دراسة بنائية جمالية تطبيقية}** لكليثم سعيد ناصر الخاطري، رسالة لنيل درجة الماجستير، عام 2012م. قد هدف الباحث في هذه الدراسة إلى معالجة الجانب البنائي الجمالي في سورة مريم ووصل إلى أنّ سورة مريم مثّلت نموذجاً مصغراً من سور القرآن الكريم للهندسة المعمارية البديعة في معماريتها البنائية عامّة ومعماريتها القصصية خاصة حيث تظهر أبعادها الهندسية تارةً وقد تختفي تارةً أخرى حسب طبيعة القرآن الكريم المتجددة لكل عصر وزمان. وأشار في دراسته إلى اهتمام القصص القرآني بعنصر الزمان ومقدار احتفائه به.

ساهمت هذه الدراسة في تصوير الإعجاز القرآني المتمثل في البناء والتركيب الفني بحيث يتناسب هذا التخطيط البنائي في القرآن مع كل حاجات الإنسان النفسية والاجتماعية والدينية والسياسية والاقتصادية المختلفة من عصر إلى آخر.

- **الإعلال والإبدال في سورة مريم (دراسة تحليلية صرفية)** للسيد محمود. هدف الباحث في هذه الدراسة إلى استخراج الآيات التي تشتمل على ظاهرة الإعلال والإبدال في سورة مريم بالاعتماد على المنهج الإحصائي والمعلومات العلمية المتعلقة بالموضوع؛ ووصل إلى أن ست وخمسين آية اشتملت على الإعلال والإبدال فظهر الإعلال في 52 آية بينما ظهر الإبدال في أربع آيات. وتمثل الإعلال الموجود في السورة في الإعلال بالقلب والإعلال بالحذف والإعلال بالإسكان.

تعد هذه الدراسة من الدراسات المهمة والمفيدة في فهم معاني الكلمات القرآنية لأنها تبين بأن أصول الكلمات العربية قد يعتريها الإعلال والتغيير مما يضفي عليها معاني جديدةً؛ لذا تساعد هذه المعرفة القارئ في التحليل اللغوي للألفاظ القرآنية وسبر معانيها.

- **الإيجاز في سورة مريم {دراسة تحليلية بلاغية من جهة علم المعاني}** لمحمد ألفيان فطاني. هدف الباحث في هذه الدراسة إلى إحصاء عدد الآيات التي تشتمل على ظاهرة

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

الإيجاز بنوعيه القصر والحذف. واستنتج من هذه الدراسة أن الإيجاز أدى إلى تسريع الحركة السردية من خلال تقليص زمن الأحداث.

تبين هذه الدراسة بأن الإيجاز في القرآن الكريم فضلاً عن إضفاء البعد الجمالي للآيات يمنحها المتانة والرصانة ويكسيها دلالات معنوية توافق مضمون السورة.

- **تحليل عناصر داستانی سوره ی مریم** لفريبا أسدي. عالجت الباحثة في هذه الدراسة الطريقة السردية القرآنية وبينت دور العناصر القصصية كالشخصيات والأحداث والزمان والمكان وتقنية الرؤية السردية في تصوير الأحداث الواقعية واكتشفت أن تقنية الراوي العليم بكل شيء وهو الله سبحانه وتعالى غطت جميع القصص إذ قام الله سبحانه وتعالى هو بنقل أقوال الشخصيات.

تفيد هذه الدراسة بأن الأحداث الواردة في القرآن الكريم أحداث تاريخية بعيدة عن شوائب الخيال قد وقعت في فترة زمنية محددة ورواها أصدق الصادقين من خلال شخصيات حقيقية. وهذا إن دل على شي فيدل على أن القرآن الكريم كتاب ذو أبعاد تاريخية وأدبية ودينية كثيرة. وكان دور مهم لهذه الدراسات ودراسات أخرى في مجال البناء القصصي القرآني والبناء الزمني للقصة القرآنية في كتابة هذا البحث.

1. مفهوم القصة

لغةً: جاءت معاني مختلفة لمادة "قصص" في لسان العرب منها:

- قَصُّ القصص وهو فعل القاصِّ إذا قصَّ ويقال في رأسه قصةٌ يعني الجملة من الكلام.
- والقص بمعنى التبيين نحو قوله تعالى: «نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ» أي نبيّنُ لك أحسن البيان.
- ويقال قصصتُ الشيءَ إذا تتبَّعت أثره شيئاً بعدَ شيءٍ[1].

فنفهم من هذه المعاني التي منحت للقصة أن عملية القص عملية كلامية قائمة على العقل والإدراك وتتبع خطوات منهجية خاصة للسرد.

اصطلاحاً: يعد مصطلح القصة من المصطلحات الفنية القديمة حيث نرى جذورها الأولى عند حضارات الروم والفرس. وهي فن أدبي يقوم فيه القاص بتصوير الأحداث الواقعية بعد ما يضفي عليها شيئاً من الخيال أو يمكن تعريف القصة بأنها تجربة شعورية مرّ بها القاص في حياته ثم قام بتصويرها في قالب قصة يتخذ عناصرها الأساسية من الواقع المعاش.

من هنا يعرف بعض علماء الأدب القصة الفنية بقولهم: «هي عرض لفكرة مرّت بخاطر الكاتب، أو تسجيل لصورة تأثّرت بها مخيلته، أو بسط لعاطفة اختلجت في صدره، فأراد أن يعبّر عنها بالكلام ليصل بها إلى أذهان القرّاء، محاولاً أن يكون أثرها في نفوسهم مثل أثرها في نفسه»[2].

---

[1] - ابن منظور، (لا تا)، لسان العرب، تحقيق: عبدالله على الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي، القاهرة، دار المعارف، ص 3650.

[2] - شيخ أمين، بكري، (1979م)، التعبير الفني في القرآن، ط 3، بيروت، دارالشروق، ص215.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

وبما أن القصة تصور الأحداث التي قد وقعت في فترة زمنية معينة تنقسم حسب طول الأحداث إلى ثلاثة أقسام: الرواية والقصة والقصة القصيرة.

2. مفهوم القصة القرآنية

هناك اختلاف كبير بين القصة القرآنية والقصة الأدبية من حيث الألفاظ والمعاني والمضمون والأسلوب وحتى السياق الذي تصب فيه، وسبب هذا الاختلاف يرجع إلى الهدف الذي تسعى إليه كل من القصة القرآنية والقصة الأدبية. فتبنى القصة القرآنية على أساس الواقع لإثبات حقيقة ما لتكن موضع الترهيب أو الترغيب ويتحقق ذلك من خلال سرد أحداث الأمم الغابرة بينما تبنى القصة الأدبية على أساس الخيال لأن طبيعة العمل الأدبي تتطلب هذا النوع البنائي ليتحقق به الهدف الذي تكتب وتبدع من أجله الأعمال الأدبية وهو التشويق والإثارة.

فقد جاءت القصة القرآنية « لتعمق العقيدة في النفوس وتبصر بها العقول وتسمو بالإنسان سمواً روحياً وخلقياً ونفسياً واجتماعياً، كما جاءت أيضاً بكثير من الحقائق العلمية المتعلقة بالكون والإنسان والحياة والأحياء في السماوات والأرض فضلاً عما في القصة القرآنية من رونق الأسلوب وبديع النظم وجمال الصورة وما فيها من المواقف والتحاليل النفسية التي يجد فيها علماء النفس بغيتهم[1]».

وعرّف عبدالكريم الخطيب مفهوم القصص القرآني بأنّه: «أنباء وأحداث تاريخية، لم تتلبّس بشيءٍ من الخيال، ولم يدخل عليها شيء غير الواقع، ومع هذا فقد اشتمل على ما لم يشتمل عليه غيره من قصص، من الإثارة والتشويق مع قيامه على الحقائق المطلقة، الأمر الذي لا يصلح عليه القصص الأدبي بحال أبداً»[2].

فيقص القرآن قصصاً تصور الأزل والحياة والأبد لهدف سام ترتفع به مكانة الإنسان. ولا شك أن القيام بهذا العمل صعب جداً بحيث يجعل كل راوٍ وكل قاصٍ عاجزاً عن استيعابه، هذا لأن مادة القصة القرآنية ليست خاصة بفترة زمنية محددة بل تشمل كل القرون المتعاقبة. لذلك تعد هذه الميزة من ميزات إعجاز القرآن لأن تتطلب «الاستقصاء إلى أبعد مدى، والتوغّل إلى أقصى غاية»[3].

أما الغاية السامية وراء هذه القصص فتتمثل في القيمة التربويّة والتطهيرية التي تصب في قالب إرشادي لتنفذ من خلاله الدعوة إلى القلوب فتهزّها. لذا نرى أن عالم القصة القرآنية زاخر بصراعات تدور بين الخير والشر والعدل والظلم لتثير في النفس العواطف وتجذب القلوب وتهيأ

---

[1] - نايف، بشار إبراهيم، (2011م)، البنية الزمنية في القصة القرآنية الاسترجاع والاستباق، ط 1، بيروت، دار الكتب العلمية، ص21.

[2] - الخطيب، عبدالكريم، (1975م)، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه مع دراسة تطبيقية لقصتي آدم ويوسف، ط2، بيروت، لبنان، دارالمعرفة للطباعة والنشر، ص49.

[3] - نوفل، يوسف حسن، (1415هـ) ربيع الثاني، مفهوم القصّة القرآنيّة، مجلة الأدب الإسلامي، العدد الرابع، ص80.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

العقول إلى الترقّب والتلقي في الفعل والمسلك[1]. فتنقسم هذه الغايات إلى غايتين أساسيتين هما: غاية عقدية والأخرى تربوية.

من ثمة، تعد القصة إحدى وسائل التعبير الملائمة للأغراض الدينية في القرآن كما أشار سيد قطب إلى هذه الوظيفة المعنوية التي تحققها القصة في القرآن بقوله: «القصة في القرآن ليست عملاً فنياً مستقلاً في موضوعه وطريقة عرضه وإدارة حوادثه _كما هو الشأن في القصة الفنية الحرة التي ترمي إلى أداء غرض فني طليق _ إنّما هي وسيلة من وسائل القرآن الكثيرة إلى أغراضه الدينية»[2].

3. التعريف بسورة مريم ومحاورها الأساسية

سورة مريم بإجماع المفسرين سورة مكيّة وعدد آياتها ثمان وتسعون آية ما عدا الآيتين رقم ثمانية وخمسين وواحد وسبعين فهما مدنيتان. وكان نزولها بعد سورة فاطر ويبدو أن تسميتها بهذا الاسم كان بتوقيف من النبي صلى الله عليه وسلم، فقد روى الطبراني وغيره حديثاً عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي مريم الغساني عن أبيه عن جده، قال: "أتيت النبي فقلت: يا رسول الله! ولدت لي الليلة جارية. فقال: والليلة أنزلت علي سورة مريم". وجاء فيما روي عن ابن عباس تسميتها بسورة "كهيعص".

وقد تكرر اسم مريم في القرآن ثلاثين مرة ولم تذكر امرأة سواها باسمها الصريح مع أنّ الغالب في قصص القرآن أنّه يترفع عن ذكر الاسماء إلّا حين يريد التنويه بصاحب الاسم وإخلاء المجال له في النفس، وحتى يكون في ذلك تثبيت الموحى إليه والذي له الجانب الأهم في الانتفاع بذلك القسم. فإن ذكرها باسمها يكون حينئذ أمراً لا مندوحة منه ولا معدى عنه فهو أمر يقتضيه مقتضى الحال. والشخصية في القرآن ترد على أنّها نموذج في الخير أو الشر ويُسترشد بسلوكها ومواقفها في التربية والتوجيه[3]. لذلك أراد الله سبحانه وتعالى أن يختص السيدة مريم بهذا الفضل العظيم ويجعلها وابنها عيسى آية للعالمين.

لقد ذخرت سورة مريم بالحديث عن عدد من الأنبياء فافتتحت بالحديث عن تلك الدعوات التي تضرع بها زكرياء إلى ربه لكي يهب له ولياً، ثم تحدثت بعد ذلك عن قصة مريم بصورة فيها شيء من التفصيل كما تحدثت عن قصة إبراهيم وموسى وإسماعيل وإدريس[4].

وقد تضمنت صفتين من صفات الله عز وجل وهما: رحمته بعباده وقدرته اللامتناهية. فما يعكس رحمانية الله هو إيراد اسم "الرحمن" فيها ست عشرة مرّة فضلاً عمّا تضمنته القصص من رحمة بين شخصياتها المحورية؛ كما تعكس الأحداث الخارقة للعادة _ كولادة طفل من عجوزين طاعنين

---

[1] - ينظر: البرزنجي، عمر إسماعيل أمين، (2017م)، خصائص التراكيب ودلالاتها في القصص القرآني، دمشق، صفحات للدراسة والنشر، ص17.

[2] - قطب، سيد، (2004م)، التصوير الفني في القرآن، ط 17، القاهرة، دارالشروق، ص 143.

[3] - ينظر: الخطيب، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، صص116-117.

[4]- ينظر: طنطاوي، محمد، (1998م)، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، الجزء التاسع، القاهرة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، صص9-10.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

في العمر أو إنجاب طفل من فتاة دون أن يمسها رجل أو تكلم طفل وهو في المهد_ قدرة الله سبحانه.

وقد اشتملت السورة على ثلاثة محاور أساسية هي: إثبات وحدانية الله، وتنزيهه عن الولد، وإثبات يوم البعث.

4. البنية الزمنية للخطاب السردي في القصة القرآنية

يعد عنصر الزمان بمثابة العمود الفقري للعمل القصصي، فلا يستطيع السارد تجاوز هذا العنصر في العملية السردية لأن العناصر القصصية الأخرى تنتظم بواسطته لذا «تقوم القصة الناجحة على ملاحظة العنصر الزمني ملاحظة دقيقة واعية، حيث تمسك الخيوط الزمنية بكل جزئياتها، وتحركها بميقات معلوم، فتطلع بها في الوقت الذي تستدعيه الأحوال كما تبعدها عن مجال الرؤية في الوقت المناسب الذي يستدعي اختفاءها مؤقتاً أو مؤبداً[1]».

وعنصر الزمان في الفن القصصي يعني «الفترة أو الفترات التي تقع فيها المواقف والأحداث المقدمة. فهو عبارة عن تتابع الحوادث أو تسلسلها وليس من الضروري أن يتطابق تتابع الأحداث في رواية ما أو قصة، مع الترتيب الطبيعي لأحداثها[2]». أما في القرآن الكريم فلم يرد لفظ الزمان «وإنما وردت ألفاظ تدل على معناه كالأبد والأجل والأصيل والأمس والحين والدهر والساعة والوقت[3]». كما ينظر القصص القرآني إلى الزمن على أنه اليد الحاملة للأحداث والمحركة لها وبغيره تهوى الأحداث وتتساقط ميتة بلا حراك[4].

وهناك من يقول أن عنصر الزمان غائب في القصة القرآنية وحجتهم على ذلك تتمثل في عدم رعاية التسلسل الزمني في سرد الأحداث. فنظرة هؤلاء إلى عنصر الزمان في القرآن نظرة تاريخية وهذا الأمر يخالف الغرض الذي من أجله ذكرت القصة في القرآن الكريم وهو الاعتبار والعظة.

فقد عدّ محمد أحمد خلف الله عدم رعاية التسلسل الزمني في سرد الأحداث في القصة القرآنية من ظواهر الحرية الفنية في القرآن الكريم. فذكر أن القصة القرآنية أهملت مقومات التاريخ من زمان ومكان فليست في القرآن الكريم قصة واحدة عني فيها بالزمان وكذلك أشار إلى أن في إيراد الأحداث وتصويرها لم يعطى أي أهمية للترتيب الزمني أو الطبيعي وإنما كان يخالف هذا الترتيب ويتجاوزه[5].

والزمن الذي نتحدث عنه في القرآن زمن مطلق من كل قيد إلا قيد الماضي حيث لا يمكن أن نعرف مقدار المسافة الزمنية بيننا وبين أحداث القصص القرآني وهذا الأمر لم يكن له أثر فيما

---

[1] - الخطيب، القصص القرآني، المرجع السابق، صص 82-83.

[2] - معوض، فاطمة، (2022م)، البنية الزمكانية في القصص القرآني "سورة الكهف نموذجاً"، مجلة كلية اللغة العربية بأسيوط، العدد 41، صص911-979، ص 922.

[3] - ياسوف، أحمد، (2017م)، الزمن في القصة القرآنية الزمن النفسي "السيكولوجي" أنموذجاً، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، المجلد 39، العدد 2، صص207- 220، ص210.

[4] - الخطيب، القصص القرآني، ص83.

[5] - ينظر: نايف، بشار إبراهيم، البنية الزمنية في القصة القرآنية، المرجع السابق، ص22.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

يحمل الحدث من مواقع العظة والاعتبار، إذ هو قائم على طريق الإنسانية موصول بما في الإنسان من نوازع الخير والشر التي لا تتغير في أجيال الناس والتي لا تختلف في زمن عن زمن[1].

5. تقنيات المفارقة السرديّة

عدم رعاية التسلسل الزمني للأحداث يسمّى بالمفارقة الزمنيّة وعن طريقها يقوم السارد بتحقيق أغراض كثيرة. وهي «خلخلة تصيب العملية السرديّة من أجل إبراز غايات معيّنة يقصدها السارد؛ والقصص القرآنية لم تلتزم في منهجها الزمني بترتيب أحداث القصّة في السرد حسب ترتيبها في الموضوع الزمني، إلّا إذا كان هذا الترتيب عاملاً رئيساً في ترابط نسج أحداث القصة وتتابعها للوصول إلى نتاجات معيّنة لأهداف مرجوة[2]».

ويعتقد بعض علماء السرد بأنّ الفكرة السائدة في القصة هي التي تدور حولها الأحداث، وترتيب الأحداث في القصة قائم على انسجام الفكرة حيث يستطيع الكاتب بهذه الأحداث إقناع المتلقي وإزالة الشك عنه. فيقول "والاس مارتين" إنّ «الفكرة المركزية _ وهي تكوين الدلالة على نحو استرجاعي زمانياً _ عنصر يتمتع بحيوية تماثل حيوية العقدة. ويسمي "كيلر" هذه العناصر بأبعاد السرد الأخلاقية والمرجعية. ويقول "بو" أن على الكاتب أن يبدأ من الفكرة المركزية أو التأثير. إذا كان الكاتب حكيماً فإنّه لا يشكّل أفكاره لتلائم أحداثه، ولكن يتصوّر، بعناية مقصودة، تأثيراً فريداً أو واحداً يبتغي تحقيقه، ثمّ يبتكر الأحداث التي تعينه على أفضل وجه في ترسيخ التأثير الذي تصوّره مسبقاً[3]».

ويرى يادكار لطيف شهروزي أن الدافع الأكبر لمراعاة الترتيب الزمني وعدمه في عرض القصص هو إبلاغ المتلقي رسالة والتواصل معه ولهذا لم يلتزم أسلوب العرض في السرد القرآني بالترتيب الزمني وذلك تجوباً لضرورات السياق وأهدافه وضمان التواصل الفعال مع المتلقي وتقوية أواصر العلاقة معه. ومن أجل ذلك كله لم تأت القصص في القرآن متتالية متعاقبة في سورة أو سور كما يكون كتاب تأريخ، بل كانت مفرقة موزعة على مقامات تناسبها، لأن معظم الفوائد الحاصلة منها لها علاقة بذلك التوزيع[4].

وللمفارقة السردية تقنيتان: تقنية الاسترجاع وتقنية الاستباق. وقد حفل القصص القرآني بهذين التقنيتن فقلما نجد قصة تخلو منهما لأنهما تخدمان أغراضاً متنوعة تتوزع بين الجمالية والوعظية والإبلاغية والإعجازية.

---

[1] - ينظر، الخطيب، القصص القرآني، ص 91.
[2] - بكوش، تقنية الزمن في الخطاب السردي القرآني وأثرها في دلالة النص، المرجع نفسه، ص193.
[3]- مارتن، والاس، (1998م)، نظريات السرد الحديثة، مترجم: حياة جاسم محمد، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، ص168.
[4]- الشهروزي، يادكار لطيف، (2010م)، جمالية التلقي في السرد القرآني، ط1، دمشق، دار الزمان للطباعة والنشر، صص 316-317، بتصرف.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

5,1 تقنية الاسترجاع

يمثل الاسترجاع الحركة الأولى في المفارقة الزمنية ويطلق عليه أيضاً بالاستذكار، اللاحقة، الرجعة، الارتداد، الاستحضار، الارتجاع الفني. ويسمى هذا الأسلوب في الفن السينمائي بالفلاش باك، إذ يعيد الأحداث إلى الوراء ليكون في [العمل الفني] مشهداً إضافياً يسعى لتذكير [المخاطبين] بحادث سابق[1]. ويرى جيرار جنيت أن كل استرجاع بالقياس إلى الحكاية التي يندرج فيها أي ينضاف إليها يشكّل حكاية ثانية زمنياً تابعة للأولى[2].

ويقدم هذا الأسلوب فوائد كثيرة في العملية السردية منها:

أ. ملأ فراغات زمنية تساعد على فهم الأحداث.

ب. عقد المقارنات بين الماضي والحاضر وملاحظة التغييرات التي طرأت خلال الفترة الزمنية التي انقضت.

ت. تعليل وتفسير جوانب الحاضر المظلمة من خلال العودة إلى الوراء[3]. كما يمثل في القصة القرآنية أسلوباً من أساليب الدعوة لعبادة الله.

وللاسترجاع مدى يقيس المسافة الزمنية الفاصلة بين اللحظة التي تتوقف فيها الحكاية الأولى واللحظة التي تبدأ منها الحكاية الثانية، وقد حدد جيرار جنيت ثلاثة مديات له هي: المدى الأسطوري، والمدى البعيد نسبياً، والمدى القريب[4]. وفي هذه الدراسة نغض النظر عن المدى الأسطوري لما يثيره من إشكالية في التعبير.

وينقسم الاسترجاع إلى قسمين: داخلي وخارجي.

5,1,1 الاسترجاع الداخلي

هو استرجاع أحداث ماضية واقعة داخل المجال الفني للقصّة حيث «يعود إلى ماضي لاحق لبداية الرواية، قد تأخر تقديمه في النص بحيث يكون حقله الزمني متضمناً في الحقل الزمني للحكاية الأولى ويتصل مباشرة بالشخصيات وبأحداث القصة، ويسير معها في خط زمني واحد بالنسبة إلى زمنها الروائي[5]».

وينقسم الاسترجاع الداخلي في سورة مريم إلى قسمين:

أ. **استرجاع غيري القصة:** يتناول مضموناً مختلفاً عن مضمون الحكاية الأولى، ويتم عن طريق شخصية دخلت حديثاً في القصة ويريد السارد أن يضيء سوابقها، أو عن طريق شخصية غابت عن الأنظار منذ بعض الوقت ويجب استعادت ماضيها.

---

[1] - نايف، البنية الزمنية في القصة القرآنية، المرجع السابق، 30.
[2] - جيرار جنيت، خطاب الحكاية، المرجع السابق، ص60.
[3] - نايف، البنية الزمنية في القصة القرآنية، المرجع السابق، 30.
[4] - نايف، بشار إبراهيم، البنية الزمنية في القصة القرآنية، المرجع السابق، ص 31.
[5] - نايف، بشار إبراهيم، البنية الزمنية في القصة القرآنية، المرجع السابق، ص 61.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

ومن شواهد هذا الاسترجاع يمكن الإشارة إلى حكاية النصارى حينما جعلوا لله سبحانه ولداً. فهذا الحدث قد وقع بعد ولادة النبي عيسى (عليه السلام) وأخذ مضموناً مختلفاً عن مضمون الحكاية الأولى: «ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾.

فيتمثل مضمون الحكاية الأولى في كيفية ولادة النبي عيسى وكيفية بعثه نبياً بينما يتمثل مضمون الحكاية الثانية في شرك النصارى بالله سبحانه إذ قالوا بأن الله اتخذ عيسى (عليه السلام) لنفسه ولداً. فإيراد حكاية النصارى يدل على حالة اجتماعية ظهرت بسبب وقوع حدث خارق للعادة وهو ولادة النبي عيسى من غير أب، فصار هذا الحدث محط الشك والاختلاف بين أتباعه. والجامع بين هاتين الحكايتين هو تبلور هذا الاختلاف؛ وبما أن الفاصلة الزمنية بين الحدثين قليلة يكون مدى الاسترجاع قريباً.

ب. الاسترجاع التكراري: وهو ضرب من ضروب استرجاع مثلي القصة وقد يأتي بشكل واضح أو مباشر عن طريق التكرار اللفظي أو بشكل غير مباشر نحو أن يروي ما شاهده في الماضي[1].

ومن أمثلة الاسترجاع التكراري بشكل مباشر نشير إلى قصة النبي زكرياء عند ما نادى ربه ليهبه ولداً يرثه ويرث آل يعقوب. ففي بداية دعائه «قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾. وعند ما شملته رحمة الله وسمع البشارة -تبشيره بيحيى (عليه السلام)- تفاجأ وكاد ألّا يصدق بما أوحي إليه فكرر قوله من شدة التعجب والفرح فـ«قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾.

فيفيد الاسترجاع التأكيد والتفسير في العملية السردية فتذكير النبي الله بشيخوختهما مرتين لا يعني بأن الرحمن غافل عن ذلك وهو عليم بالعباد، إنما يفيد التأكيد على قدرة الله التي يستطيع بها خلق كل شيء وإن كانت خارجاً عن قوانين الطبيعة. ومدى الاسترجاع قريب يتمثل في الساعة التي دعا بها ربه.

ومن أمثلة الاسترجاع التكراري غير المباشر نشير إلى تكرار قصة النبي زكريا، ومريم، وإبراهيم، وموسى، وإسماعيل، وإدريس (عليهم أفضل الصلاة والسلام). فقد جاءت عبارة (وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ) في بدء حكاية كل منهم (ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا / وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ / وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا / وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا / وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا / وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا).

فيمثل ذكر حكايتهم رجوعا لتلك الأحداث التي مرّوا بها وهو رجوع تكراري بحيث تتكرر فيه أحداثاً كانت قد جرت سابقاً. ويفيد هذا التكرار في هذا المقام التذكير بصفات الإنبياء وعلل اصطفائهم كما يمثل وسيلة لإثبات نبوتهم. ويكون مدى الاسترجاع حسب زمن السرد بعيداً.

[1] - ينظر: نايف، صص 62 – 66.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

وأيضاً يتمثل الاسترجاع التكراري غير المباشر في حكاية النبي محمد (أفضل الصلاة والسلام عليه) مع الكاذبين للحشر. فحينما قام النبي بهداية قومه إلى الصراط المستقيم وإخبارهم وإنذارهم يوم البعث والنشور كذبوه فراحوا يسألون باستغراب واستهزاء عن صدق هذا القول، فجاء الرد: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ﴿٦٧﴾.

فقد أراد الله سبحانه بهذا القول استذكار الإنسان الزمن الذي لم يكن له فيه وجود أصلاً. فقام الإنسان بإنكار ذلك بعد ما جاء به الله سبحانه من العدم وركبه أحسن تركيب. لذا مثل أسلوب الاسترجاع حجة إلهية قوية وبالغة في هذا الموقف الذي أعرض الجاهلون فيه عن قول الرسول. وتمثل هذه الحجة سهولة إعادة الخلق للخالق إذ إعادة الخلق تكون أسهل وأهون عليه من الخلق نفسه. فقد حقق الاسترجاع من خلال عملية التفسير بعدين معنويين أولهما: إثبات وجود يوم القيامة، وثانيهما: سهولة أمر إعادة الخلق لله تعالى.

5,1,2 الاسترجاع الخارجي

يقوم السارد في هذا الأسلوب بذكر أحداث سابقة لبداية السرد وهذا لا يعني بأنها لا تتداخل معه إنما هي مكملة له إذ وظيفته "إكمال الحكاية الأولى عن طريق تنوير القارئ بخصوص هذه السابقة أو تلك"[1].

وذكرت الدراسات بأن عدد الاسترجاعات الخارجية في القصة القرآنية أقل من الاسترجاعات الداخلية، وقد اتسمت بسمات منها:

أ. جاء أغلبها للتذكير بماضي الأمم السابقة، وقد تصدرتها عبارات " واذكروا، وجدنا آءنا، و...".

ب. وجاء بعضها لتذكير الإنسان بخلق الكون والتبصر به.

ت. التذكير بماضي إحدى الشخصيات الرئيسة[2].

ومن منظور مدى الاسترجاع فقد غلبت عليه صفة البعيدة والبعيدة جداً وإن جاء في أحيان قليلة بمدى قريب. وكانت نماذج الاسترجاع الخارجي في سورة مريم قليلة جداً لأنها بنيت على أساس رعاية الترتيب الزمني في قص الأحداث.

ويتمثل نموذجه في قصة النبي إبراهيم (عليه السلام) عند ما أراد هداية أبيه إلى صراط سوي وصرفه عن عبادة الشيطان فراح يذكره بعصيانه واستكباره أمام أمر الله سبحانه، فقال له: ﴿يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾.

فقصة عصيان الشيطان سابقة على قصة النبي إبراهيم مع أبيه وهو حدث بعيد المدى جداً إذ يشير إلى أول خطيئة ارتكبها إبليس. وهناك علاقة سببية تجمع بين القصتين بحيث تبين القصة الثانية سبب طرد الشيطان من رحمة الله وتبعاً لذلك سيؤدي إتباع أوامر الشيطان إلى طرد التابع له من

[1]- ينظر: جيرار جنيت، المرجع السابق، صص 60 و61.

[2] - ينظر: نايف، بشار إبراهيم، البنية الزمنية في القصة القرآنية، المرجع السابق، صص 48-49.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

الجنة. فقد جاء الاسترجاع الخارجي بهدف تنبيه الأب بخطيئته والعقاب المؤلم الذي سيترتب عليها إن لم يتب عنها ويستغفر لذنبه.

ومن نماذجه أيضاً ما جاء في قصة النبي زكرياء عند ما بشره الله سبحانه بالذرية الصالحة فتعجب من ذلك بسبب كبره هو وزوجته في السن. فسأل الملك أن كيف يمكن ذلك فردّ عليه : «قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا». فحكاية خلق النبي زكرياء خارج المجال الفني للقصة الأولى ولكن على علاقة وثيقة معها إذ الحكاية الأولى تعبر عن قدرة الله وفضله على آل يعقوب وعند ما يعتري النبي زكرياء التعجب والاندهاش يتجه السارد إلى تذكير الماضي، الزمن الذي لم يكن للنبي فيه وجود في الأساس. فاتخذ السارد هذا الأسلوب لإزالة الشك والتعجب من النبي وتقوية إيمانه بربه.

5,2 تقنية الاستباق

ويطلق عليها أيضاً بالسرد المتقدّم الاستطلاعي والاستشراف والتوقعات والسوابق. وهي «تصوير مستقبلي لحدث سردي يأتي تفصيل القول فيه لاحقاً، فيقوم الراوي باستعجال أحداث سابقة عن أوانها يمكن أن تحصل وهو ما يجعلها تضطلع بمهمة التمهيد والتوطئة لأحداث آتية يجري الإعداد لسردها لاحقاً»[1]. وهو يشكل الحركة الثانية من حركتي المفارقة الزمنية، ويرتبط بما اسماها تودوروف " عقدة القدر المكتوب "[2].

وتكثر الاستباقات في القصة القرآنية بالقياس للاسترجاعات وذلك بسبب الوظائف التي تحققها في العملية السردية القرآنية. وينقسم الاستباق بحسب طبيعة المهمة المسندة إليه في النص إلى قسمين: الإعلان والطليعة.

5,2,1 الإعلان

يعرف جنيت الإعلان بأنه توقع يمكن أن يُحَقَّق على الفور في حالة إعلانات ذات المدى أو الأمد القصير جداً حيث يصلح في نهاية فصل مثلاً للكشف عن موضوع الفصل التالي وهو يشرع فيه[3]. أو يمكن تعريفه بأنه «استباق يخبر صراحة عن سلسلة الأحداث التي سيشهدها السرد في وقت لاحق، ودوره يتمثل في التنظيم بسبب التوقع الذي يحدثه الإعلان في ذهن القارئ وهذا التوقع قد يتحقق على الفور في الإعلانات ذات المدى القصير، ولكن الغالب أن يكون الإعلان طويل المدى ومن شأنه أن يخفف من حدة سوء الفهم ويسوغ حوادث يمكن حضورها[4]».

وينقسم الإعلان إلى قسمين، هما: التمهيد والإنباء.

---

[1]- بن صفية، عبدالله، (2013م)، الاستشراف في الرواية العربية مقاربة سردية في نماذج نصية، رسالة ماجستير، إشراف: إسماعيل زردومي، جامعة الحاج لخضر، الجزائر، ص 116.

[2] - ينظر: نايف، البنية الزمنية في القصة القرآنية، ص88.

[3] - ينظر: جنيت، جيرار، المرجع السابق، ص82.

[4] - نايف، البنية الزمنية في القصة القرآنية، ص 111.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

5,2,1,1 التمهيد

وهو استباق زمني يقصد به التوقع لأحداث محتملة الوقوع في العالم المحكي. ومن نماذج هذا الضرب في سورة مريم نعزو إلى سبب طلب النبي زكرياء ولداً يرثه حين قال لربّه: «إِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾.

فمثل هذا الدعاء إعلاناً مهد لأحداث ستحل لاحقاً، إذ إن أنبياء الله المخلصين لا يطلبون منه طلباً إلا وهبهم إياه لذلك كان دعاء النبي ولداً يرثه تمهيداً للبشارة بولادة النبي يحيى. ومهدت هذه البشارة نفسها لوقوع أحداث حلت في القصة لاحقاً وهي جعل آية للنبي زكريا بهذه المناسبة وهي عدم قدرته على التكلم مع الناس لثلاثة أيام كاملة وهو في صحة وسلامة تامة، وخروجه على قومه ليسبحوا الله تعالى بكرةً وعشياً حمداً لهذه الهبة: « قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ۚ قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾.

ونرى في حكاية النبي عيسى حينما كلّم الناس في المهد تمهيداً لأحداث قد وقعت بين أتباعه إذ اختلفوا فيما بينهم حول وحدانية الله سبحانه فقرّ بعض منهم بأن الله هو النبي عيسى والبعض الآخر أشرك بالله حيث جعلوا النبي ولداً لله سبحانه بينما « مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ ۖ سُبْحَانَهُ ۚ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾.

ومهد هذا الاختلاف لحدث آخر وهو سعي ومحاولة النبي لرفع هذه الشبهة التي وقعوا فيها أتباعه، فراح يذكرهم بعبوديته لله تعالى فقال لهم « وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾. ولكن أكثر أتباعه أصروا على الشرك والكفر بالله سبحانه وهذا الإصرار نفسه مهد لوقوع عذاب أليم وعدهم الله به بما كانوا يفعلون «فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾. وقد مثل هذا الوعيد استباقاً خارجياً مداه بعيد بحيث يتم حدوثه خارج المجال الفني للقصة.

5,2,1,2 الإنباء

وهو استباق زمني يخبر المتلقي عن الأحداث التي ستحصل بصورة حتمية لاحقاً، ووظيفته تتمثل في خلق حالة انتظار عند القارئ[1]. وقد جاءت في القصة القرآنية على مديات مختلفة بعيدة وقريبة.

ومن نماذج هذا الضرب ما جاء في كلام النبي عيسى (عليه السلام) وهو في المهد إذ: «قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا». فهنا جاءت الأفعال بصيغة الماضي بدل المضارع لما

[1] - ينظر: نايف، ص 111.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

في الماضي من دلالة على حتمية الوقوع لتخبر عن أمر سيحصل في المستقبل القريب بالحتم واليقين.

وجاء في خطاب منه تعالى للنبي محمّد (أفضل الصلاة والسلام عليه) وهو يتوعد الكفار عند ما نكروا قيام الساعة للحساب: « فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾. فيخبر الله سبحانه في هذا الإعلان عن حتمية وقوع يوم الحساب، وأسلوب القسم والتأكيد في هذا الإنباء دال على هذه الحتمية. ويمثل هذا الإعلان إستباقاً خارجياً مداه بعيد بحيث يتم تحقيق وعيد الله للكافرين في يوم القيامة التي لا يعرف ميقاتها إلا هو سبحانه.

ويتمثل الإنباء في وعد الرحمن المؤمنين بالود والمحبة التي سيجعلها في قلوب الآخرين لهم جزاء بما قدموه من خير لأنفسهم فقال سبحانه: «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾. فجمع هذا الإعلان التمهيد والإنباء إذ الإيمان بالله والعمل الصالح يمهد لجعل الرحمة في قلوب الناس. ويمكننا أن نربط بين التمهيد والإنباء بعلاقة سببية حيث يكون الإيمان والعمل الصالح سبباً للدخول في قلوب الناس. ومدى هذا الإنباء قريب جداً حيث يكتسب المؤمن محبة الناس ورأفتهم به في كل لحظة من لحظات حياته.

5,2,2 الطليعة

يعرف جنيت الطلائع بأنها« مجرد علامات بلا استشراف، ولو تلميحي، لن تكتسي دلالتها إلا فيما بعد[1]». و« وظيفتها جعل القارئ يتوقع حصول أحداث سيشهدها السرد ويرسم في ذهنه مواقف استباقية، مما يتطلب قارئاً متمرساً يمتلك خبرة عالية[2]».

ويمكننا من خلال طريقتين أن نتعرف على الطليعة وهما:

أ. ظهور شخصية لن تتدخل في أحداث الرواية إلا بعد ذلك بكثير.

وتمثل شخصية الملك "جبرئيل" (عليه السلام) نموذجاً لذلك حينما ظهر لمريم (عليها السلام) بشكل بشر سوي. فكانت شخصية الملك جبرئيل قبل ذلك حاضرة في القصة ثم اختفت حتى أمرت بمهمة إعجازية التي هي وهب مريم (عليها السلام) غلاماً زكياً. وعند ما ظهر عليها تعوذت بالرحمن منه لعفتها وطهارتها فـ « قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾.

فكان ظهور الملك جبرئيل في القصة بلا استشراف حيث لم يكن القارئ يتوقع ظهوره فجأة.

وقد شكل هذا الظهور المفاجأ خمسة محاور مهمة في القصة:

- سبب اصطفاء مريم (عليها السلام) من بين نساء قومها لعفتها وطهارتها.
- تنزيه الرحمن من الولد.
- جعل المولود عيسى (عليه السلام) آية للناس.
- طلب مريم الموت بسبب الموقف المحرج الذي صارت فيه.

[1]- جنيت، المرجع السابق، ص 83.

[2] - نايف، ص 111.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

- اطمئنان وارتياح مريم (عليها السلام) بعد رؤية معجزتين وهما جري عين من تحتها في صحراء جافة، وتساقط الرطب الطازج من جذع نخر.

وفضلاً عن ذلك مهد ظهوره لأحداث كان لا بد من وقوعها، فالداري بالأوضاع الاجتماعية والفكرية السائدة آنذاك في البيئة التي نشأت وترعرعت فيها السيدة مريم يعلم بأنها ستواجه محن كثيرة وهي تدخل عليهم وحاملة بيدها رضيعاً بعد ما انتبذت عن أهلها مكاناً بعيداً.

ب. الوصف الوظيفي، وهو وصف بنائي يمهد لأحداث قادمة كانت ستثير أسئلة كثيرة لدى القارئ لو لم يتدخل الوصف لإيضاحها[1].

ونجد الوصف الوظيفي الممهد للأحداث في قصة مريم عند ما جاءها الأمر بأن لا تكلم أحداً في اليوم الذي دخلت على قومها وهي تحمل ابنها: فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ﴿٢٦﴾.

فقد أعطى هذا الوصف إشارة للقارئ يستبق بها الأحداث ويرسم في مخيلته الاستغراب والعصبية الناشبة من نار الغيرة عند قومها، ولو لا اختيار السكوت لها لأصبح عنده كومة من الأسئلة بلا جواب على سبيل المثال أسئلة مثل كيف تتجرأ تدخل على قومها في هذه الحالة؟! وكيف سترد على أسئلتهم ونظرتهم السيئة إليها؟! هل يسمح لها القوم أن تشرح لهم ما حصل لها وهي في مكان بعيد؟! هل يصدق القوم قولها؟! وما إلى ذلك.

لقد مهد هذا الوصف لأحداث كان يجب أن تحصل إذ كان السكوت سببا لإثارة عصبية القوم وإلقاء اللوم على مريم (عليها السلام) ولا شك في هذه الحالة لا تبرء قداستها وطهارتها من كل الظنون السيئة والأقوال القبيحة إلا وقوع معجزة كبيرة لذا كان السكوت تمهيداً لتكلم رضيع في المهد.

5,3 تقنيات الحركة السرديّة

ترتبط تقنيات الحركة السردية بالمدة أو مايسمّى بالاستغراق الزمني وهو «التفاوت النسبي الذي يصعب قياسه بين زمن الحكاية وزمن السرد، إذ يتولد لدى القارئ إقناع بأن هذا الحدث استغرق مدة زمنية تتناسب مع طوله الطبيعي أو لا تتناسب وذلك بغض النظر عن عدد الصفحات التي تمّ عرضه فيها من طرف الكاتب، أي لا عبرة في تحديد الاستغراق الزمني»[2].

وقسّم علماء السرد تقنية الحركة السردية وفقاً للتغييرات التي تطرأ على الزمن إلى الإبطاء والتسريع. ولكل منهما تقنيتان فيتمثل الإبطاء بتقنيتي المشهد والوقفة بينما يتمثل التسريع بتقنيتي الخلاصة والحذف.

---

[1] - نايف، ص112.

[2]- بكوش، عيسى، المرجع السابق، ص196.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

5,3,1,1 الإبطاء – المشهد

يمثل المشهد [الحوار] الروح الذي يسري في كيان العمل القصصي حيث من دون تقنية المشهد يتحول العمل القصصي إلى كتلة من الكلمات الخالية من الانتعاش والنشاط. وللحوار في القصص القرآني سمة خاصة لا نجد لها أثراً في القصص الأدبي على الإطلاق وهي تلك الذاتية التي يحتفظ بها هذا الحوار لشخصيات المتحاورين، إذ الشخصيات في القصص القرآني شخصيات واقعية لها وجودها الذاتي ولها منطقها وتفكيرها ولها منزعها وإرادتها في الموقف الذي تقفه في الحدث، وفي الأسلوب الذي تعبر به عن موقفها دون أن نستشعر بأن ملقّناً من ورائها يلقنها الكلمات التي تلقيها في المشهد[1].

لذا الحوار في القصص القرآني يعتمد غالباً على الحكاية، حكاية مقولات القائلين ونقلها على ألسنتهم ولهذه الطريقة أهميتها في أنّها تدلُّ على حقيقة الصدق وأنّ الأحداث في القصة القرآنية حقيقية ليس فيها تزييد أو تخييل. ويكون الحوار في العمل القصصي حسب المضمون وطبيعة الظروف المحيطة بالشخصيات القصصية مفصلاً أو مجملاً.

ومن أمثلة المشاهد في قصص سورة مريم نذكر المشهد الذي دار بين النبي إبراهيم (عليه السلام) وأبيه آزر عند ما جادله في عبادة الأصنام ودعاه إلى عبادة الله: «إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ ۖ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ ۖ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي ۖ إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾.

توقفت حركة السرد في هذا المقطع الحواري وجاء بصورة مطنبة مفصلة ويدل هذا الإطناب والتفصيل على احترام النبي لأبيه وهو بمحضره. إذ صدرت كل نصيحة من نصائحه الأربع بعبارة {يا أبت} توسلاً واستعطافاً به، وقد اختار من بين حروف النداء حرف "يا" وهو موضوع لنداء البعيد تعظيماً لمقام الأبوة وحينما طرده أبيه من البيت لم يرد عليه بسوء بل دعا له بالسلام وقال له بتواضع وخشوع سيطلب من الله له المغفرة.

فقد جسم هذا البطء الذي ولده المشهد إحدى صفات النبي إبراهيم (عليه السلام) الخلقية وهي برّه بوالده، ومثل تمهيداً لحدث آت وهو وهبه إسحق ويعقوب جزاء لقدرته في اختيار العزلة عن أبيه و قومه الوثنيين واعتقاده الراسخ بوحدانية الله.

[1]- الخطيب، عبدالكريم، القصص القرآني، المرجع السابق، ص 129.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

5,3,1,2 الإبطاء – الوقفة

وتعرف أيضاً بالاستراحة، وتقع هذه الوقفة أثناء السرد لوصف مشهد أو فضاء «و مما لا ريب فيه أنّ الوصف يحول دون إحساس القارئ بالزمن ومن شأنه أن يوقف السرد مدّة قصيرة ليستأنف بعدها الراوي حكايته للحوادث. وهذه التقنية مثلما هو معروف يلجأ إليها الكاتب في العادة لأغراض عدّة من أهمّها: كبح جماح الزمن في تدحرجه الموصول بإتجاه النهاية لإيجاد المزيد من التشويق[1]».

وتنقسم الوقفة في القرآن الكريم إلى قسمين: وصفية ووعظية. فالوصفية تقوم بوصف الأماكن كالجنة والنار وحالة الأشخاص الجسدية والنفسية بينما تقوم الوقفة الوعظية بالإنذار والإرشاد[2].

فعلى سبيل المثال تتمثل الوقفة الوصفية في الآية الرابعة حينما دعا النبي زكريا ربه بتضرع: ﴿ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا ﴾. يبين هذا الوصف عجز وضعف النبي الذي اعترى وجوده بسبب الكبر في السن و« يذكر أنّ الضعف قد استحوذ عليه باطناً وظاهراً[3]».

وأيضا يتمثل الوصف في حديثه عند ما قال: ﴿ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا﴾. فيجسد هذا الوصف كبر زوجته في السن حيث وصلت لمرحلة الإياس. وفي حديث مريم (عليها السلام) نرى بأنها تقول للملك: « أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾. فتوضح هذه الوقفة أن السيدة مريم (عليها السلام) كانت فتاة باكر ومعصومة عن الخطأ والزلل. فقد جاءت هذه الوقفات لتصف قدرة الله سبحانه وتعالى في الخلق.

وقد جاءت بعض الوقفات لتصف أخلاق الرسل وتؤكد نبوتهم كما جاء في وصف النبي يحيى: ﴿ وَكَانَ تَقِيًّا وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا﴾. ووصف النبي عيسى: « وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا». ووصف إبراهيم: إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٤١﴾. ووصف موسى: إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥١﴾.

كما جاءت بعض الوقفات لتصف الجنة وما فيها ويعد هذا الوصف أسلوب من أساليب ترغيب الناس للإيمان بالله واليوم الآخر والقيام بالعمل الصالح في القرآن: «جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا ﴿٦١﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾.

أما الوقفات الوعظية فتتمثل في حالة الكفار يوم الحساب عند ما يذوقون عذاب كفرهم وشركهم بالله حيث شدة العذاب تجعلهم « يَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾. فكان الغرض

---

[1] - بكوش، عيسى، المرجع السابق، ص197.

[2] - ينظر: رياض بن يوسف، (2009-2010م)، أدبية السرد القرآني مقاربة من منظور علم السرد، رسالة دكتوراه، إشراف: د.حسن كاتب، الجزائر، كلية الآداب واللغات، جامعة منتوري، ص 124.

[3] - ابن كثير، قصص الأنبياء، المصدر السابق، صص629-630.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

من هذا الوصف «تعجيب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بعد الآيات التي ذكر فيها العتاة والمردّة من الكفار، وأقاويلهم وملاحتهم ومعاندتهم للرسل واستهزاؤهم بالدين[1]».

وأيضاً تتمثل في كيفية حشر المؤمنين والكفار في يوم البعث: « يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾ لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾. فسيغمر سبحانه المتقين بالرحمة ويخصّهم برضوانه وكرامته ككرامة الملوك لوفودهم ويسوق الكفّار باستخفاف وإهانة إلى النّار.

كما تتمثل الوقفة الوعظية في وصف الله تعالى قمة قبح قول النصارى عند ما جعلوا له ولداً فكاد من قولهم تنقلب السماوات والأرض فقال تعالى: «تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا».

لقد شملت هذه الوقفات الوعظية محاور السورة التي هي الإيمان بوحدانية الله وتنزيه من الولد والإيمان بالمعاد فضلاً عن الجمالية الفنية التي أضفتها إلى السرد القرآني وذلك عبر « توقيف وتيرة السرد وإبطائها، وتعطيل حركة الزمن في السرد، يحل مكانه ليضع الحقائق واضحة متميزة أمام كل ذي عقل وإحساس، وذلك بتصوير الأمكنة ورسم أجوائها، والأشخاص وأفعالهم[2]». ويمكن تشبيه عملية الوصف في الوقفة السردية بعملية التفسير في إيضاح المعنى.

5,3,2,1 التسريع – الخلاصة

ويُطلق عليها أيضاً بالتلخيص والمجمل والإيجاز. وتعتمد الخلاصة في الحكي على "سرد أحداث ووقائع يفترض أنّها جرت في سنوات أو أشهر أو ساعات واختزالها في صفحات أو أسطر أو كلمات قليلة دون التعرض للتفاصيل" لذلك يكون زمن السرد أقصر بكثير من زمن الوقائع لأنّ التلخيص يقوم "بحشد الأحداث في فترة زمنية معينة ونقل صورتها العامة، ولا يتطبق هذا بالطبع على جميع الأحداث القصصية"[3].

ويأتي هذا الإيجاز في القصص القرآني وفقاً للغرض أو الأغراض التي تحملها السورة ولنعرض مثالاً له نذكر قصة موسى (عليه السلام). فقد مرّ النبي في حياته منذ الطفولة حتى التكليف بالدعوة بأحداث كثيرة كقذفه في اليمّ وبعثه نبيّاً في الأربعين من عمره ومعجزاته بالعصى وأمره بالذهاب إلى فرعون ليهديه وما إلى ذلك. ولخص السارد الله سبحانه كل تلك الأحداث في ثلاث آيات: «وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾. فكان هذا الاختصار لازما لأن المقام هنا يطلب الإيجاز إذ كان الهدف من ذكر القصة التعريف بالنبي وخصاله الحميدة وإحاطته بالرحمة الإلهية وإثبات نبوته ونبوة أخيه.

---

[1] - الزمخشري، ص647.

[2] - سديرة، سهام، (2006م)، بنية الزمان والمكان في قصص الحديث النبوي الشريف، رسالة ماجستير، إشراف: د. رابح دوب، كلية الآداب واللغات، جامعة منتوري، الجزائر، ص 80.

[3] - بكوش، عيسى، المرجع السابق، ص196، بتصرف.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

كما يتمثل الإيجاز في قصة دَين خبّاب لرجل في قوله: «أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾.

جاء في الكشاف عن الحسن (رحمه الله):« نزلت في الوليد بن المغيرة، والمشهور أنّها في العاصي بن وائل. قال خبّاب بن الأرث: كان لي عليه دين فاقتضيته، فقال: لا والله حتّى تكفر بمحمّد –صلوات الله عليه – قلتُ: لا والله لا أكفر بمحمد حيّاً ولا ميتاً ولا حين تبعث. قال: فإنّي إذا متُّ بعثت؟! قلتُ: ثم، قال: إذا بعثتُ جئتني وسيكون لي ثم مال وولد فأعطيك، وقيل: صاغ له خباب حلياً فاقتضاه الأجر، فقال: أنّكم تزعمون تبعثون، وأن في الجنّة ذهباً وفضّةً وحريراً فأنا أقتضيك، ثم فإنّي أوتي مالاً وولداً حينئذٍ[1]».

فقد اختصرت القصة في آية واحدة (آية 77) وأدى هذا الاختصار الوظائف الآتية:

- كفران الرجل المديون بآيات الله.
- عدم إيمانه بيوم البعث والاستهزاء به.
- إثارة غضب الله سبحانه.
- وعده بعذاب أليم بعد الإمداد بالمال والبنين.

فتتوافق هذه الوظائف وأحد أغراض السورة وهو حقانية يوم البعث وتحقيق الوعد والوعيد فيه.

5,3,2,2 التسريع – الحذف

وهي عبارة عن «فجوة زمنية تمثل المقاطع الزمنية في القص التي لايعالجها الكاتب معالجة نصية، وهي نوعان: الأولى الثغرة المميزة المذكورة وهي التي يشير إليها الكاتب في عبارات موجزة جداً مثل (بعد مرور سنة، ومرت ستة أشهر) والثانية هي الثغرة الضمنية وهي النوع الذي يستطيع القارئ أن يستخلصها من النص مثل مرور تسعة أشهر بين الفصل التاسع عشر»[2].

ويحقق هذا الحذف للتفاصيل السردية المتانة البنائية القصصية وتماسك حبكته الدرامية. ومن أمثلة الحذف في قصص سورة مريم نعزو إلى تلك المقاطع الزمنية التي جرت فيها أحداث لم تكن تفاصيلها ذا أهمية تذكر منها التفاصيل المرتبطة بـ:

- حمل مريم (عليها السلام) ككيفية عملية النفخ ومدّة الحمل وكيفية قضاء هذه المدّة وهي في مكان بعيد عن أهلها وكيفية وضع الحمل وشرح حالتها النفسية وهي تسمع صوت يناديها من تحتها.
- ردة فعل قوم مريم (عليها السلام) حينما سمعوا صوت رضيع في المهد وهو يعرف نفسه والرسالة التي أوتيت له.
- كيفية نمو عيسى (عليه السلام) حتى صار صبياً يحمل كتاب الله.

[1] - الزمخشري، ص646.
[2] - بكوش، ص197.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

- الاختلاف الذي قد وقع بين النصارى.
- المكان الذي اعتزل إبراهيم (عليه السلام) فيه عن أهله وقومه.
- الظروف التي مرّ بها إبراهيم (عليه السلام) قبل أن يهبه الله سبحانه إسحق ويعقوب.

وقد غابت أحداث كثيرة فيما تختص بحياة الأنبياء يحيى وإسماعيل وإدريس وموسى (عليهم السلام) في هذه السورة للتركيز على سماتهم الفردية التي تميزوا بها عن الآخرين والرحمة التي أحاطت بهم من جانب الرحمن.

فقد حققت هذه القفزات أبعاداً جمالية تنعكس في الإيجاز غير المخل بالمعنى، وأبعاداً معنوية تتمثل في النقاط الوعظية والإرشادية دعماً للفكرة الرئيسة التي تحوم حول السورة.

5,4 تقنية التواتر السردي

التواتر أو علاقات التكرار مظهر من المظاهر الأساسية للزمنية السردية، ويعني وقوع الحدث أكثر من مرة أو تكراره أثناء العملية السردية. وهذا التعدد في وقوع أو تكرار الحدث يضفي عليه في كل مرة معناً جديداً يفهم من خلال السياق الذي صب فيه. وتنقسم هذه التقنية إلى أربعة أقسام:

5-4-1 التواتر المفرد: أي رواية الحدث مرة واحدة الذي وقع مرة واحدة.

5-4-2 التواتر التكراري: أن يروى الحدث مرات لا متناهية الذي وقع مرات لا متناهية.

5-4-3 التواتر التعدّدي: أن يروى الحدث مرات لا متناهية الذي وقع مرة واحدة.

5-4-4 التواتر الترددي: أي رواية الحدث مرة واحدة بل دفعة واحدة الذي وقع مرّات لا نهائية[1].

هناك شواهد كثيرة تمثل التواتر المفرد في سورة مريم نذكر منها حكاية اشتياق النبي محمد (الصلاة والسلام عليه) لجبريل (عليه السلام) حينما سأله عن علة طول الغياب فجاءه الرد: « وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾. فوقع هذا الحدث مرة واحدة وروي مرة واحدة.

ولنضرب مثالاً للتواتر التكراري نشير إلى الحديث عن الجنة والنار. فهو حدث وقع عدة مرات وذكر عدة مرات في مواضع مختلفة من القصص كما جاء في الآيات التالية:

- فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾
- أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾
- إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ﴿٦٠﴾
- جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ ۚ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا ﴿٦١﴾
- تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾

[1] - ينظر: جيرار جنيت، صص 131-129.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

- فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾
- فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾
- وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾
- و... .

فيفيد هذا التكرار التأكيد على حتمية وقوع ما وعده الله سبحانه أولياءه الصالحين ووعيده للكافرين.

ومن نماذج التواتر التعددي نعزو إلى مسألة كفر وشرك النصارى بالله سبحانه. فقد وقع هذا الحدث مرة واحدة في قصة مريم (عليها السلام) وتكرر في عدة آيات التي هي:

- ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾
- مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ ۖ سُبْحَانَهُ ۚ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾
- وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾
- أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾
- وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾

فيفيد التكرار في هذه الآيات التأكيد على وحدانية الله سبحانه والتقرير عن الأقاويل والإلحادات النصرانية.

أما التواتر الترددي فيتمثل في توصيف الله سبحانه النبي إسماعيل بأنه « كَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾. فكان أمر الأهل بالصلاة والزكاة ديدنة النبي بحيث لا يختصر هذا العمل في يوم أو شهر أو سنة من حياته بل كان دأبه يقوم به باستمرار. ويمكن فهم هذا الاستمرار من صيغة كان مع الفعل المضارع (كانَ + يأمُرُ) التي تفيد الاستمرار. فقد كان الهدف من هذا التكرار التعريف بشخصية النبي إسماعيل وتنبيه القارئ بالالتزام بالصلاة والزكاة ودعوة الآخرين لأداء هذه الفرائض.

لقد مثل التواتر بكل أنواعه في هذه القصص مظهراً من مظاهر إعجاز القرآن الكريم الذي أخلده مئات السنين إذ يدل تكرار الحدث أو القصة الواحدة عدة مرات على عجز المكذبين[1]؛ بحيث تكون الصياغة في كل مرة مختلفة عن الأخرى لتناسب موضوع ومحاور موضعها الجديد.

6. الخاتمة

عنصر الزمان له وظائف جمالية ومعنوية كثيرة في العمل القصصي، ويكون بمثابة الركن الأساسي في العملية القصصية الذي يرتكز عليه القاص لتصوير عالمه الأدبي. ولكن لما يكون الحديث عن القصة القرآنية تصبح وظائف هذا العنصر مختلفة بالنسبة للوظائف التي يؤديها في

[1] - ينظر: الزركشي، بدرالدين، (لاتا)، البرهان في علوم القرآن، المحقق: محمد ابوالفضل إبراهيم، ج3، القاهرة، دارالتراث، ص27.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

القصة الأدبية هذا لأن الغاية في العمل القصصي الأدبي مختلفة عن الغاية في العمل القصصي القرآني.

ووصلت هذه الدراسة للنتائج التالية بعد التركيز على هذا العنصر وتقنياته في القصص القرآني:

- تعد القصة في القرآن وسيلة تعبيرية للوصول إلى الأهداف التربوية والدينية. فحفلت السور لا سيما السور المكية بالقصص منها سورة مريم التي احتوت على قصة حياة عدد من الأنبياء.
- يعد عنصر الزمان من أهم عناصر البناء القصصي وينقسم في القصص القرآني حسب الحقيقة والواقع إلى الأزلي والإنساني والأبدي، وتقنيات هذا العنصر تحوم حول هذا التقسيم وتأخذ مدلولها منه.
- قد تمثلت التقنيات الزمنية كالاسترجاع والاستباق والحركة السردية والتواتر في القصص الواردة في سورة مريم وأدت وظائف جمالية وبلاغية ووعظية وإرشادية. وحققت محاور السورة التي هي الإيمان بوحدانية الله ويوم البعث في أغلب المواضع.
- يظهر من السمات الخاصّة بالزمان الترتيب الزمني للأحداث في بداية السورة، إذ تقدّمت قصة زكرياء على قصة مريم توطئةً وتمهيداً للأحداث التي جرت عليها. كما هيأ هذا التمهيد ذهن القارئ لتقبل أحداث خارقة للعادة ستقع أثناء السرد.
- ظهرت الحركة السردية بتقنيتيها الإبطاء والتسريع في هذه القصص وغالباً ما امتزجت بتقنيتي الاسترجاع والاستباق.
- تمثّل الإبطاء الزمني بالمشاهد الحوارية التي دارت بين شخصيات القصة، والوقفات الوصفية والوعظية. فجاءت الوقفة الوصفية لوصف الجنة والنار، وكيفية دخول المؤمنين الجنة وقلوب الناس، وكيفية دخول الكفار النار. أما الوقفة الوعظية فجاءت لتذكر المشركين والمكذبين بوحدانية الله سبحانه وحقانية يوم البعث.
- تمثّل التسريع الزمني في خلاصة بعض القصص وحذف بعض الجزئيات من القصص لعدم الحاجة لذكرها من دون أن يخل هذا الإيجاز والحذف بالمعنى.
- أتت تقنيات التواتر السردي لتأكيد وتفسير كثير من الأحداث لذلك ساهمت بشكل كبير في إثبات قدرة الله تعالى ووحدانيته ويوم البعث فضلاً عن الجمالية الفنية واللغوية التي أعطتها للسرد.
- قد حقق التضافر بين التقنيات الزمنية تماسك وانسجام البناء القصصي في سورة مريم، كما حقق الهدف الديني والتربوي الذي بنيت عليه جميع القصص القرآني.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

7. قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- **المؤلفات**

1. الزمخشري الخوارزمي، (2009م)، تفسيرالكشاف، تخريج وتعليق: خليل مأمون شيحا، ط3، لبنان، بيروت، دارالمعرفة.
2. ابن منظور، (لاتا)، لسان العرب، تحقيق: عبدالله على الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي، القاهرة، دار المعارف.
3. البرزنجي، عمر إسماعيل أمين، (2017م)، خصائص التراكيب ودلالاتها في القصص القرآني، دمشق، صفحات للدراسة والنشر.
4. ابن كثير، الإمام أبو الفداء، (1988م)، قصص الأنبياء، تحقيق: د.مصطفى عبدالواحد، ط3، مكة المكرمة، مكتبة الطالب الجامعي.
5. جنيت، جيرار، (1997م)، خطاب الحكاية بحث في المنهج، ترجمة: محمد معتصم عبدالجليل الأزدي، ط2، الهيئة العامة للمطابع الأميرية.
6. الخطيب، عبدالكريم، (1975م)، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه مع دراسة تطبيقية لقصتي آدم ويوسف، ط2، بيروت، لبنان، دارالمعرفة للطباعة والنشر.
7. الزركشي، بدرالدين، (لاتا)، البرهان في علوم القرآن، المحقق: محمد ابوالفضل إبراهيم، ج3، القاهرة، دارالتراث.
8. شيخ أمين، بكري، (1979م)، التعبير الفني في القرآن، ط3، بيروت، دارالشروق.
9. الشهروزي، يادكار لطيف، (2010م)، جمالية التلقي في السرد القرآني، ط1، دمشق، دار الزمان للطباعة والنشر.
10. طنطاوي، محمد سيد، (1998م)، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، الجزء التاسع، القاهرة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.
11. قطب، سيد، (2004م)، التصوير الفني في القرآن، ط 17، القاهرة، دارالشروق.
12. مارتن، والاس، (1998م)، نظريات السرد الحديثة، مترجم: حياة جاسم محمد، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة.
13. نايف، بشار إبراهيم، (2011م)، البنية الزمنية في القصة القرآنية الاسترجاع والاستباق، ط 1، بيروت، دار الكتب العلمية.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

- **الأطاريح**

14. ابن صفية، عبدالله، (2013م)، الاستشراف في الرواية العربية مقاربة سردية في نماذج نصية، رسالة ماجستير، إشراف: إسماعيل زردومي، جامعة الحاج لخضر، الجزائر.
15. رياض بن يوسف، (2009-2010م)، أدبية السرد القرآني مقاربة من منظور علم السرد، رسالة دكتوراه، إشراف: د.حسن كاتب، الجزائر، كلية الآداب واللغات، جامعة منتوري.
16. سديرة، سهام، (2006م)، بنية الزمان والمكان في قصص الحديث النبوي الشريف، رسالة ماجستير، إشراف: د. رابح دوب، كلية الآداب واللغات، جامعة منتوري، الجزائر.

- **المقالات**

17. بكوش، عيسى، (2019م)، تقنية الزمن في الخطاب السردي القرآني وأثرها في دلالة النص، مجلة جسور المعرفة، المجلد5، العدد 1، صص190- 200.
18. معوض، فاطمة، (2022م)، البنية الزمكانية في القصص القرآني "سورة الكهف نموذجاً"، مجلة كلية اللغة العربية بأسيوط، العدد 41، صص911-979.
19. نوفل، يوسف حسن، (1415هـ) ربيع الثاني، مفهوم القصّة القرآنيّة، مجلة الأدب الإسلامي، المجلد 1، العدد الرابع.
20. ياسوف، أحمد، (2017م)، الزمن في القصة القرآنية الزمن النفسي "السيكولوجي" أنموذجاً، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، المجلد 39، العدد 2، صص207- 220.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)